قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

البرهان العطوريّ

في العراق عملية ديمقراطية، قل ما شئت عنها ، وانتقدها كيفما أحببت، لكنّ لديمقراطيتنا ما للديمقراطية من سمات ومظاهر تبدأ بالانتخابات وتنتهي بالفصل بين التشريع والتنفيذ والقضاء ولو بأسيجة غير مرئية، مروراً بمنظمات المجتمع المدنيّ التي تلعب معها الحكومة لعبة القط والفأر، دون أن ننسى الإعلام الحرّ الذي له حكاية "يرويها مجنون وملؤها الصخب والعنف" كما قال شكسبير. فبعض إعلامنا أفسد حريته بيده، إما بمناهضته الحكومة مناهضة مدفوعة الثمن كما تفعل بعض الفضائيات الشهيرة غير البريئة، أو بجعل نفسه في جيب الحكومة كما تفعل فضائيات وصحف شبه رسمية، يسعى مديروها لأن يجعلوها رسمية بالقوة، قوة المال طبعاً.

زبدة القول إن عندنا ديمقراطية. صحيح أنْ لا أحد يحسدنا عليها فهي تمارَس في جوّ مشحون بأحقاد الساسة المستمدّ بعضها من أحقاد طائفية وبعضها من أحقاد شخصية وبعضها الآخر من أحقاد تقليدية تحدث دائماً بين أصحاب المال.

عندنا ديمقراطية، لكنّ أحداثاً كثيرة منذ التغيير وحتى اليوم كانت خرقاً للديمقراطية، تصرفات حكومية من قبل رئيس الحكومة أو أعضائها كانت مناقضة تماماً للديمقراطية جوهراً وأعراضاً، كما أن أغلب الكتل السياسية إن لم يكن كلها أتتْ بأفعال ليس بينها والديمقراطية سبب ولا نسب.

لا يكاد يمرّ يوم دون أن نسمع من سياسيّ قوله "إن هذا الكلام أو الفعل مناقض للديمقراطية"، أو "أن هذا التصرّف خروج على العملية الديمقراطية".

بهذا كنا نتناقش أمس أنا والزميل قيس العجرش، ونبهني إلى فكرة لم يتنبه إليها أحد على حد علمي، مفادها أننا لم نضع للأن حدوداً واضحة المعالم بين ما هو ديمقراطي وما هو ليس بذلك. وهذه الخروقات "الديمقراطية" التي نراها عياناً ويعترف بها الساسة؛ متى وفي أيّ وضع يمكن أن تجعل من العملية غير ديمقراطية برمتها؟، أين تكف الديمقراطية عن أن تكون كذلك بسبب تراكم الخروقات؟، هل هناك حدّ معين نستطيع أن نقول عنده إن الخروقات صارت هي السائدة بحيث خنقت الديمقراطية وقتلتها؟، وما البرزخ الذي إذا تجاوزناه دخلنا في الديكتاتورية أو الثيوقراطية أو أيّ نظام آخر مناقض للديمقراطية؟

ضرب قيس مثلاً: لدينا قنينتا ماء وعطر، إذا أضفنا للعطر ماء فسيغدو أخفّ، وإذا ظللنا نضيف إليه الماء فسيغدو ماء معطراً "أو ماء مضافاً بتعبير الرسائل الفقهية"، فإذا تمادينا في صبّ الماء فسيغدو محتوى قنينة العطر ماءً قراحاً "بتعبير فقهي أيضاً"، سيصبح لدينا قنينة مكتوب عليها "عطر" وفيها ماء.

من يريد أن يشتري قنينة عطر جميلة ومكتوب على غلافها اسم نوع عطر فاخر لكنْ ليس فيها إلا الماء؟

من يريد ديمقراطية نتكلم عنها كثيراً ونتغنى بها لكنها تخرق كل يوم من قبل رئيس الحكومة ووزراء ونواب موالين ومعارضين ومن قبل إعلاميين وقضاة ومنظمات مجتمع مدنيّ؟

بالبرهان العطوريّ الذي قاله زميلي قيس، لا ديمقراطية لدينا ولا عطر، لدينا جثة الديمقراطية الميتة التي نريد أن نخفي رائحتها التي فاحت برشّ عطورنا عليها وها قد نفدتْ العطور لدينا وفاحت الرائحة.

هنيئاً للمصابين بالزكام لأنهم لا يشمون ما يشم الأصحاء!

مظاهر التيارات المعاصرة ومقتضيات الأمن الثقافي

□عبد المجيد حسن شياع

من المفاهيم والمصطلحات التي ظهرت ونشأت حديثا في بلادنا العربية ، وتحديدا في بداية السبعينات من القرن الماضي ، هو مفهوم ((الأمن الثقافي)) ، الذي جاء مكملا لعدة مصطلحات ومفاهيم نشأت في مجالات وحقول مختلفة مثل ((الأمن الاجتماعي)) و ((الأمن الاقتصادي)) و ((الأمن الغذائي)) وغيرها .

ولكننا ومن جانب آخر نرى حرباً ثقافية فعلية تشن على العرب والمسلمين بصورة خاصة من طرف الغرب والصهيونية بهدف استئصال كل ما يجمع العرب من تراث ديني وحضاري تجسده هوية العروبة الحضارية بتاريخها ،وذلك لإدخالنا في المتاهة .

وقد قام مثلا بعض المحافظين الجدد وأشباههم في الوطن العربي من الليبراليين الجدد باستبدال تعبير ((العرب)) في الأدبيات السياسية والفكرية باصطلاح ((الناطقين بالعربية)) ، وهذا الاستبدال لا هدف له ، سوى تدمير فكرة وجود الأمة في وعي الإنسان العربي لنفسه ، فهو بحسب زعمهم ليس عربيا بالأصل ، بل هو كائن ناطق بالعربية شبيه بالإندونيسي الناطق بالهولندية ، وبالتالي تكريس انطباع زائف في وعي الإنسان العربي لنفسه بأنه نتاج استعمار أمة أخرى تدعى العرب .

وهكذا أيضا ، ومن ضمن تخريب الأمن الثقافي العربي يجري نقد العروبة وتوصيف المشاعر التقليدية لدى جميع المواطنين الذين ينفعلون بالأحداث المأساوية في فلسطين ولبنان والعراق بأنها مرادفة للتخلف ، أو هي تعبير عنه ، يعكس نوع وطبيعة استراتيجيات الغرب القديمة والمستجدة لمحو العروبة .

وإذا أرادت أمة أن تحقق لنفسها تقدما حضاريا مزدهرا ، فلا بد أن توفر الأمن لديها على المستويين الفردي والجماعي ، فضلا عن المستوى الثقافي لها ، وذلك ما شهد به التاريخ وأكدته تجارب الشعوب والأمم ذات الحضارات العريقة ، فلا إبداع من دون استقرار ، ولا نهضة ثقافية أو علمية أو اجتماعية من دون طمأنينة تلقح العقول وتعلي الهمم وتطلق الحريات .

إن الأمن هو أهم الأسس وأبرز القواعد التي يقوم عليها صرح الحضارات ، وهو اللغة الرسمية التي يتميز بها الفرد المتحضر والمجتمع المتقدم والأمة الواعدة التي تدرك ما ينطوي عليه المناخ الآمن من عوامل حضارية متينة تقود إلى صنع مجتمع حضاري متقدم يتميز بالاستقرار وينعم بالسكينة .

وقد لاحظنا أن تطور الحياة وأسبابها أديا إلى استحداث أسماء كثيرة للأمن مثل، الأمن القومي ، والأمن الجماعي ، والأمن الإقليمي ، والأمن الدولي ، ويرى هارولد براون ، وهو أحد وزراء دفاع الولايات المتحدة السابقين ، أن الأمن القومي هو القدرة على صياغة وحدة الأمة ، ووحدة أراضيها ، والحفاظ على علاقاتها الاقتصادية مع جميع دول العالم ، ولكن بشروط معقولة .

وقد غلبت على مظاهر الثقافة العربية المعاصرة العديد من التيارات ، التي من أبرزها هي ، أولا ، تيار الثقافة المستعادة ، أو تيار الثقافة العربية الإسلامية ، ويدعو هذا التيار إلى عودة الأمور إلى ما كانت عليه من الجانب حضاري إلى بداية نشأة الإسلام ، إذ يعيد هذا التيار نموذج المدة المعاصرة ، فضلا عن بعض ما لحق به من مراحل زاهية .

وثانيا ، تيار الثقافة المستعارة ، أو تيار الثقافة الغربية المعاصرة ، ويعتمد هذا التيار على معطيات ثقافية قديمة أو معاصرة .

وأخيراً ، هو تيار الثقافة العربية الإسلامية المنفتحة ، وهذا التيار يدعو للوئام بين روح الإسلام ومعنى الحضارات الإنسانية ، والاستفادة من كل ما من شأنه أن يقدم الحلول على قاعدة المعقول ، ويسعى من خلال كل ذلك إلى تحقيق منظومة حديثة التنسيق مع المنظومات السابقة ، ويستوعب حقائق العصر وجميع شؤونه .

ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن الأمن الثقافي العربي والإسلامي ، هو تفرد الثقافة العربية الإسلامية بخصائص وصفات معينة تكمن فيها خصوصية هذه الثقافة ، وتميز المجتمع العربي عن باقي المجتمعات ، ففي ظل النظام الدولي الجديد نجد إن هنالك توجها جديدا وشديدا نحو تحديد الهوية ، وبينما تتحول حياة الفرد نحو العالمية ، نجد أن الفرد نفسه يحاول أن يحافظ على ثقافته التي تمثل هويته وشخصيته المميزة ، ومن ثم فإن الهوية تظهر ويتأكد محورها في كل المجتمعات .

لقد كانت المواجهة مع الغرب في عصرنا الحديث تعبر عن الرد على التحدي الخارجي الأكبر ، فمع الأخذ من الثقافة الغربية ، ومع فرضها علينا أحيانا ، كان هناك خوف على الهوية العربية الإسلامية ، وكان الغرب يرى أن حضارته وثقافته تمثلان نهاية التطور ، وأن الحضارة البشرية انتهت إليهما ، وما عداهما تخلف وركود ، ومع كل هذا لم يغب عن أذهاننا إن هناك تعددا ، وإن لكل أمة ثقافتها ولغتها التي تعمل على حفظها عبر توازنها لجميع الأجيال القادمة وحمايتها من الاندثار .

وانسجاماً مع هذا النص ، فإن الأمن الثقافي هو محاولة من المجتمع نفسه للحفاظ على عاداته وتقاليده وإرساء أسسه وتحصينها من جميع المؤثرات الخارجية ، ويعتمد وجود الأمن الثقافي العربي الإسلامي على التفاعل الإيجابي والتعاون بين المواقف المختلفة للثقافات الوطنية والمحلية .

وللأمن الثقافي وجهان على الأقل ، إقليمي ودولي ، فالإقليمي يتصل بالسياسات الثقافية للدول العربية ومؤسساتها المدنية ، بضوابط النشر والإعلام والمعلوماتية فيها ، والدولي يتصل بالخطط الاقتصادية والسياسية والعلمية والعسكرية للدول الأجنبية وتأثير ذلك على الدول العربية .

ولإغناء الثقافة فلا بد من التنمية الثقافية ، وذلك عبر تقوية مختلف أشكال التعبير الثقافي ، ونشر الثقافة من خلال توفير الظروف المناسبة للإبداع والإنتاج ، ولذلك فإن بقاء الثقافة أمر خاص بأفراد معينين وغيابها عن باقي الأفراد سيهدد المجتمع بكامله ، وبالتالي فمن الضرورة جعل الثقافة مسألة مجتمعية شاملة وليست حكرا على نخبة قليلة من الأفراد .

إن كل ثقافة تخلق أدوات أمنها في كل المستويات ، وكل سلطة ، سياسية أو اجتماعية أو أدبية أو فنية ، تخلق أدوات أمنها في كل المستويات أيضا ، وكما أن هناك سلطة منفتحة تستوعب الثقافات الحرة ، فإن هناك ثقافات مغلقة تقوم على قمع حرية الرأي وترسم حدودا لجميع الأفراد لا تسمح لأحد أن يتخطاها .

وليست كل الثقافات متساوية ، فهناك ثقافات تقف إلى جانب السلطة ، وهناك ثقافات قابلة للتحرر ، لأنها نفسها تقوم على حرية الفكر ، ولذلك يمكننا القول إن كل سلطة ثقافة ، وإن كل ثقافة سلطة ، وكما أن هناك صراعا بين سلطة وسلطة أخرى ، كذلك هناك صراع بين ثقافة وثقافة أخرى ، فصراع الثقافات أو صراع الحضارات هو واقع ويجب الانتباه إليه جيدا ، فقد يكون الغزو بالحرب ، أو قد يكون بالتطور المادي ، وقبل العصور الوسطى لم تكن هناك ثقافات متصارعة ، فلم نسمع بصراع بين الأديان مثلا ، ولكن انتشار العقائد السياسية الشمولية انتشار عالمي هو الذي نقل العالم من مرحلة إلى مرحلة أخرى ، أي من مرحلة التفاعل الثقافي إلى مرحلة الصراع الثقافي ، الذي يستخدم كل الأدوات المتاحة له .

ويجمع الباحثون على أن التعليم في مختلف مراحله ، وبشكل خاص التعليم العالي ، هو الأداة الرئيسية للأمن الثقافي للنهوض بالمجتمعات النامية ، وفي مختلف حقول الإنتاج والمعرفة والإبداع ، وذلك إن التوظيف في تحسين الإنتاج العلمي ووضعه في خدمة المجتمع هو المدخل الرئيسي والأساسي ، وهو المدخل الطبيعي للارتقاء بالإنسان الفرد أولاً ، وبالمجتمع ثانياً ، وأخيراً بالحضارة الإنسانية الشمولية في عصرنا الحالي .

ومع بروز المشكلات السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية وكذلك البيئية ، الناجمة عن الانفجار السكاني في جميع البلدان النامية والفقيرة أيضا ، تتزايد الحاجة الملحّة إلى التوظيف المكثف في قطاع التعليم العالي ، لتطوير التكنولوجيا وبناء الكوادر العلمية القادرة على مواجهة تلك الأزمات ، وذلك عن طريق إيجاد الحلول العلمية لها .

كما أن الأمن الثقافي العربي رهن بقدرة المجتمعات العربية على التفاعل الإيجابي مع مرحلة الحداثة التي تعيشها المجتمعات المتطورة ، التي تتوقف إلى حد كبير على وقف هجرة الأدمغة العربية ، واستعادة أعداد كبيرة منها إلى داخل الوطن العربي ، وإنشاء المراكز المتطورة للبحث العلمي .

ولا ننسى أن تكوين الإنسان العربي هو هدف أساسي في تحقيق الأمن الثقافي ، فالمواطن الحر هو مادة الأمن الثقافي وغايته الرئيسية ، وبه تتحقق التنمية البشرية بكامل أهدافها ، ولا ننسى أيضا أن نجاح الأمن الثقافي مرهون بنجاح التنمية البشرية ، ودخول العرب عصر التكنولوجيا ، بثقة كبيرة بالنفس وبالمستقبل ، فالمجتمعات التي تنعم بالحرية هي وحدها القادرة على حماية منجزاتها التراثية ومعالجة قضاياها الاقتصادية والسياسية والتنموية.

الأجيال الجديدة ابنة التكنولوجيا

ملاحظات أولية...أنا عراقي أنا أقرأ

□نبيل وداي

قرب شهريار وشهرزاد اللذين تناولا قصصا ومعارف وحكماً وأمثالاً لاحصر لها في لياليهم الألف والليلة الواحدة (شفاها) دون أقلام وورق وأحبار ودور نشر وتوزيع، كانت مبادرة (أنا عراقي أنا أقرأ) ،التي ألقت الحجر في البركة الراكدة و بعثت الحياة الثقافية في شارع (أبو نواس)بزخم كبير لم تستطع وزارة الثقافة بكل ما لديها من إمكانات تحقيق جزء يسير منه.

المبادرة امتلكت الكثير من عوامل النجاح الذي بدا واضحا في الزخم الإعلامي عبر منابر الفيس بوك التي سبق قيامها، فضلا عن أنها كانت بجهود شباب أخذ على عاتقه المبادرة في كل جوانبها دعاية وتمويلا دون انتظار مؤسسات أو ممولين أو مباركة من أحد، وكان الحماس الشبابي هو العامل الأكبر في نجاحها غير المتوقع،آخذين بنظر الاعتبار كل العوامل المحيطة والمحبطة للعمل الثقافي خصوصا أمام الصمت الهلامي القوام لدور وزارة الثقافة الذي لا أحد يعرف بالتحديد ماهو إلا دوار المناط أو المنوط بها في هذه المرحلة المفصلية من تاريخ العراق الذي تتشكل فيه رؤية ووعي مغارين لكل ماهو سابق ولكل ماهو تقليدي بعد دخول المثقف العراقي إلى عالم التقنية الرقمية التي صارت جزءا لايتجزأ من حياته الثقافية.

إن نجاح هذه المبادرة التي تعد نشاطا نوعيا واضح المعالم، يشير بما لايقبل الشك إلى أن الحياة العراقية ماتزال عطشى إلى هذا الفعل الثقافي الذي يعد مقدمة لأي إبداع ثقافي، إذ لامعنى للثقافة عندما تكون محاطة بأسلاك شائكة وتكون بعيدة عن القطاف، أو تظل في أبراجها العاجية، بحجة أنها موجهة للنخبة أو أنها تحت التداول المحدود وهو ما كانت تفرضه عوامل النشر والتوزيع والانتشار، وقبل هذا وذاك العوامل الأيدولوجية التي تتحكم ببوصلة التوجهات التي يراد للثقافة أن تسير إليها،ورب سائل يسأل هل أن القائمين على هذه المبادرة هم ممن يصنعون الثقافة أو يوجهونها أو يتحكمون بمساراتها واتجاهاتها ،وعلى الرغم من عدم وجود إجابة شافية عند المراقب لهذه المبادرة إلا أن الواضح فيها أن الهدف منها بلا شك هو تسويق فكرة القراءة والتعاطي مع المنجز الثقافي الممثل بالكتاب بهدف ردم الهوة العميقة التي أفرزتها الحروب والحصارات والقطيعة مع المنجز الثقافي العربي والعالمي، وهو الإرباك الذي قاد إلى عدم معرفة من أين تأتي البداية؟ من النشر أم التوزيع أم من الدعاية والترويج الذي يسبق العمل الإبداعي؟

ومن إدارة الإبداع ذاته وهي المهمة التي لم تتوقف عندها العديد من المؤسسات الثقافية التي كانت تعطي الأولية للعمل الإبداعي على حساب آليات الترويج لهذا الإبداع.

إن واحداً من أهم مفاصل العملية الثقافية وصناعة الثقافة هي إيجاد بيئة التعاطي معها، أي الثقافة على أنها وجه من وجوه الحياة التي ينبغي الالتفات إليها ،وهذه البيئة هي الترويج، والترويج هنا لا يعني المرور إلى بيئة الثقافة دون التحصن بآليات الانتخاب التي تمنح المتلقي فرصة الوصول إلى أفضل ما ينتجه العقل البشري وعزل النشاز منه وغربلة كل ما يصل إلى هذا المتلقي، دون أن يكون معنى ذلك فرض الوصايا من جديد عليه في تسريب ما تريده القوى المتحكمة في إدارة وإنتاج الثقافة.

وعوداً على مبادرة (أنا عراقي أنا أقرأ) لابد من تأشير مجموعة من الملاحظات التي لا تنتقص ولا تثلم من نجاح المبادرة ،وأود إدراجها في النقاط الآتية:

١-عدم الإشارة إلى الإنجاز الرقمي العظيم الذي اختصر الزمان والمكان الثقافي ووصل العالم مع بعضه شرقا وغربا وشمالا وجنوبا.

٢-مازالت الطقوس الدعائية المرتبطة بالكتاب تعتمد على تقاليد (البسطية) التي تشير إلى دونية التعامل مع الكتاب بوصفه شيئا مقدسا ومهماً.

٣-الاهتمام بجغرافية المبادرة ،فليس من قبيل المصادفة أن تكون المبادرة في مكان هو أساسا مكان يؤمه اغلب المثقفين ، وهو ما يحتاج إلى إعادة نظر في ترسيم جديد يعتمد آلية الانتشار إلى البيئة الأخرى ،أي البيئة التي لا تجد أو لا تتعامل مع الكتاب ولا تعرف شيئا عن هذا الحراك الثقافي الدائر في شارع المتنبي وشارع أبو نواس، ذلك أن المثقف لا يحتاج إلى من يعلمه كيف يهتم بالكتاب والقراءة، وأن المطلوب هو لفت نظر الناس العاديين إلى هذا الموضوع ما يستدعي اختيار بيئات لا يدخلها الكتاب أو لا يشكل الكتاب معلما مهما وحيويا وضروريا فيها ،وخصوصا في بعض المناطق التي يعانيها الكتاب إهمالا واضحا.

٤-تسيير قافلات ترويجية داعية إلى الاهتمام بالقراءة تطوف في مناطق بغداد وبقية مدن العراق مع إحاطتها بكل عناصر السحر الإعلامي من لافتات وموسيقى وألعاب نارية وغيرها بما يؤمّن لفت الانتباه إليها.

هذه ملاحظات سريعة آمل أن تساهم في تطوير هذه الفعالية الرائعة التي قطفنا من ثمارها لقاء الأحبة من مثقفين ومفكرين وإعلاميين وأكاديميين، فضلا عن المتابعين الآخرين من المراقبين للمشهد الثقافي.

العراقي يقرأ

الحرية..في حضرة "المصالح"

□لينا مظلوم×

حرية التعبير و الرأي عادت تملأ سماء المنطقة العربية بحكم أحداث متوالية أعادت فكرة المواجهة بين الغرب و الإسلام في توقيت بالغ الحساسية و التعقيد..من جهة الشعوب العربية تغمرها حالة تمرد و غضب عام من حُكام جثمت على أنفاسها عشرات السنين حتى أصابوا مفاصل دولهم بالترهل و الوهن ..شعوب أعصابها أسلاك كهرباء مكشوفة جاهزة للاحتراق والانفجار نتيجة أبسط لمسة ..شعوب تعرضت للخداع و التضليل ممن وثقوا بهم وأعطوهم -قبل أصواتهم الانتخابية-دماء بريئة أريقت في سبيل الحرية..سواء في العراق،مصر،ليبيا،تونس.. و الدماء مازالت تجري في سوريا ،بينما ينتظر قادة تياراتها الإسلامية في فنادق قبرص و اليونان في تربص لحظة الانقضاض لسرقة الثورة السورية بعد أن يُكتب لها النجاح كما حدث مع الثورات العربية..

في هذا التوقيت المواكب لتفجيرات ١١ أيلول في أميركا ظهرت لقطات فيديو تافهة تسيء للدين الإسلامي..تكمن خطورتها في أنها تمس"عصبا" جماعيا أو حالة وجدانية تجمع شعوب دول الشرق ..و هي خصوصية الدين.. مما أدى إلى انفجار ردود الأفعال العنيفة و الغوغائية بين شعوب مُعبأة و مُعدّة للانفجار . .تبعها نشر جريدة فرنسية رسوما مسيئة للنبي محمد، لتزيد النار اشتعالا.

وسط هذه المواجهة بين مبدأ حرية التعبير الذي يتبناه الغرب، و الحساسية العربية المفرطة من استباحة المقدسات الإسلامية .. اتفقت ردود الأفعال الصادرة عن الغرب على أن الاقتراب من المنع و مصادرة الحريات هي خطوط حمراء.. لكن هل الحال فعلا كذلك؟

في لقاء أجرته معي إذاعة صوت العرب ذكرت أن صُناع القرار السياسي الأميركي هم أول من مارس اللعب على الوتر الديني و المتاجرة به خدمة لمصالحهم في المنطقة.. أعلى الدوائر السياسية في أميركا استقبلت مجاهدي أفغانستان كأبطال في البيت الأبيض و البنتاغون ..دعم و تسليح بن لادن و القاعدة ضد التدخل السوفيتي في أفغانستان ..الاتصالات المكثفة منذ عام ٢٠٠٥ بين المخابرات الأميركية"CIA" و جماعة الإخوان المسلمين في مصر تمهيدا لدعمهم في الاستيلاء على الثورة المصرية، حتى تقلصت من "ثورة" إلى "تسليم مفتاح " مصر من يد مستبد فاسد إلى فاشية دينية.. و هو في تصوري "سيناريو" يحمل بعض أوجه التشابه مع ما حدث في العراق عام ٢٠٠٣..إزاحة نظام دموي دكتاتوري و تسليم العراق إلى فاشية دينية أثبتت الأحداث أنها لم تولد من رحم عراقي.

إذاً المبرر الذي ترفعه أميركا و دول الغرب استنادا إلى حجة حرية الرأي و التعبير الذي تدافع عنه هذه الدول ..هي نفس الحرية التي طالما فرّقت بين استباحة مقدسات المسلمين و بين كل من يقترب من اليهودية و "اسطوانة" المحرقة الشهيرة.. عندها سرعان ما يرتفع سيف معاداة السامية ليقص رقاب كل من يتجرأ عليها.. و الأمثلة عديدة..منها ما حدث للمفكر الفرنسي روجيه غارودي الذي امتنعت كل دور نشر الغرب عن طباعة مؤلفاته حتى اغتيل الرجل معنويا قبل رحيل جسده عن العالم لأنه تجرأ على مراجعة محرقة اليهود..مثال صارخ على القمع مارسته السياسة الأميركية مع المخرج مايكل مور عقابا على معارضته هذه السياسة و كشف تضليلها للرأي العام ..إذ سحبت كبرى شركات الإنتاج في هوليوود- منها شركة ديزني – تمو يل و إنتاج أفلام مور ..حتى أنها حاصرته و منعت عرض أفلامه في إحدى دورات مهرجان كان السينمائي.. أشهر و أقدم مراسلة في البيت الأبيض "هيلين سميث" أطيح بها و فقدت كل تاريخها الإعلامي حين مارست حريتها و قالت إن على اليهود العودة إلى بلادهم.. لعل أبلغ ما يلخص حال سلاح حرية التعبير والرأي الذي يرفعه الغرب في وجوهنا ..المثل العراقي(غراب يقول لغراب وجهك أسود)!!!.. قيمة الحرية التي نُقدسها ونصبو إليها جميعا بدون مقومات العدل و التجرد لن تلد سوى جنين مشوه بكل معالم الفوضى و الغوغائية و الانفعال الأعمى.. لعل أقرب الأمثلة من العراق على الممارسات الفوضوية الساذجة لرئاسة الحكومة – وهي للعجب أيضا ترفع شعار الحرية!!- التمادي في تدمير كل القيم التي ارتبطت بالوجدان العراقي تمثلت في الهجمة الوحشية على شارع المتنبي..تغيير معالم شارع أبو نؤاس.. مداهمة المؤسسات الصحفية و الإعلامية.. الاعتداء المسلح على النوادي ..فرض قيود "مستوردة" على المرأة العراقية التي طالما بهرت العالم العربي بريادتها في مختلف المجالات.. ثم بعد كل هذا ، لا تستحي الحكومة من إطلاق الاتهامات ضد الشارع العراقي حين يمارس حريته في رفض سياستها العشوائية ..و السؤال للسيد المالكي..و أنت تزرع مبادئ الفوضى و العنف..هل كنت تنتظر ردود أفعال مغايرة في طبيعتها عن المبدأ الذي فرضت التعامل به؟

أخيرا.. لست بصدد الدفاع عن ردود فعل الشارع العربي على الإساءة للمقدسات الإسلامية.. العقل و المنطق يرفضان تبرير العنف و القتل تحت أي ظرف.. فالغوغائية و الدم لم يكونا يوما من وسائل العلاج ..إنما هي محاولة تشريح وفهم أبعاد الأزمة.

× كاتبة عراقية مقيمة في القاهرة